

إبراهيم سماحة يحوّل بيروت إلى ظاهرة بصرية متعددة الأزمنة

سكنت مدينة بيروت ذاكرة الرسام والنحات اللبناني إبراهيم سماحة وخياله منذ أن قيّض له أن يحمل ريشة ألوان أو قلم التخطيط بالحبر، أو وهو يحفر على ألواح من خشب، فرسمها في أكثر من سرديّة جمالية تجسّد بهاها وكبرياءها، إلى أن كان انفجار المرفأ، ليحوّل الفنان متعدّد الوسائط بيروت التي يحب إلى ظاهرة بصرية تتشكل في لوحات مفاهيمية.



ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت - إثر انفجار مرفأ بيروت في صيف العام الماضي، أقام الفنان اللبناني متعدّد الوسائط إبراهيم سماحة معرضاً فنياً حمل عنوان "هي". عنوان يجعل قارئه يتصوّر أنه سيكون أمام أعمال فنية تتخصّن العاصمة اللبنانية، بيروت، كما جرت العادة عبر جعلها أنثى يشعر طويل أو قصير تتمايل هنا أو هناك كما تفعل النسوة في شعر نزار قباني الغزلي والمعسول. وأنه ستلي تلك المواجهة مع "انثى شرق المتوسط" مواجهة أخرى مع بصريات تمجّد اكتشاف الفينيقيين للابجدية أو تتغنّى بنجاحة بيروت بعد غرقها سبع مرات تحت البحر وما إلى ذلك من إفرات خُبل فني باهت وبال. ولكن لا.. لا تنتمي أعمال الفنان ولحسن الحظ إلى هذا المزاج.

يعثر الناظر إلى لوحات سماحة المشغولة بمواد متعددة وبأحجام مختلفة على صفائح من خشب، على أجواء اختلطت فيها علوم الهندسة المدنية/ المنطقية بما ورائيات أفرزتها المدينة في روح الفنان.

بيروت في لوحات إبراهيم سماحة تتحدث عن كيف يمكن للفن المفاهيمي أن يتصف بكل صفات الفن التشكيلي الأساسية

ومعرض "هي" انثى تحية فنية من سماحة إلى مدينة بيروت التي عنت له الكثير منذ طفولته التي قضاه في منطقة الجميزة. هناك أنشأ مشغله الفني على درج مار تقولا في قلب تلك المنطقة البيروتية العريقة بالعمارة والشوارع الضيقة والدكاكين الصغيرة وحضور الأشجار التي لم تقض عليها عجالات المعاصرة.

ويقول الفنان الذي يفكر في تمديد المعرض إن ربع مبيعات لوحاته سيعود كله إلى ضحايا الانفجار، مضيفاً أن تلك المساعدة جاءت بالتعاون مع جمعية "وي هيلب"، أي "نحن نساعد"، التي أسستها وتشرف عليها اللبنانية ندى أبو فرحات. وهي التي كتبت مؤخراً على صفحاتها الفيسبوكية "مازلنا مستمرين في تقديم المساعدات العينية. ونحاول توسيع حلقة المساعدات التي ما زال المتضررون في أشد الحاجة إليها".

ويخبرنا سماحة بأن رفع آثار الدمار من الشوارع وقيام أهل المنطقة وغيرهم من مختلف مناطق لبنان بحملات التنظيف اليومية وطداً وأصغر العلاقة بين أفراد المجتمع اللبناني، وبأن مشاركتهم في حملة رفع الدمار تركت في نفسه صدى عميقاً أساسه الإحساس بالمسؤولية والانتماء إلى المدينة المنكوبة، لاسيما في غياب الدولة التي تخلت عن دورها في القيام بعمليات إزالة مخلفات الانفجار.



تداخل لوني وحركي يجسد تحولات مدينة استثنائية



خربشات صيبانية تستمد قوتها من عمق الذاكرة

ثنائية الإظهار والإضمار تتجسّد في لوحات تجريدية

المغربي عبدالله الميطوط يستعيد ذكريات طفولته الغابرة في معرض افتراضي بعُمان

أحد الأسماء الجديدة داخل المشهد التصويري المغربي. وليست الجدة، في هذا السياق، بالمعنى الذي يحيل على عمر تجربته الفنية التي أسس لكثير من ملامحها الواعدة منذ أزيد من عقدين من الزمن، قضى معظمها في الإنصات الهادئ والتأمل العميق بما يمكنه من تطوير أدوات مطبخه الفني في التجريب وتمثيل تجارب الآخرين، مغاربة وأجانب، في ما يشبه مرحلة ترتيب ذائقته الفنية، وإنما المقصود من الجدة تلك اللمساة الفنية المجتهدة التي يقترحها هذا الفنان كتنديب جمالي يستند على العديد من المعارف المختلفة".

الفنان المغربي يستند في عمله الإبداعية على التخطيط المضمّر الذي يهندس التكوين الشامل من داخل الفعل ذاته

ويضيف أزغاي "هو إلى ذلك لا تنقصه روح المغامرة في تمثيل التجارب الرائدة ومحاولة إضافة لمسته الخاصة على متنها المكرّس، بما تعنيه الإضافة من صداقة وحوار ومصاحبة، وكلها عمليات تحتاج إلى سند معرفي وإلى امتلاك عين ذكية وعارفة، كعين الهيطوط المنتمسة بالألوان والتجارب".



تجريد يختزل المساحات والألوان

ومحو وإضافة.. ليجد المتلقي نفسه أمام عملٍ طلائعي، يُمارس عليه الفنان سلطة ما، غير منجزه.. السلطة هنا، دخول بالقوة في متعة التلقي".

أسلوب غير مدرسي

لا ينكر التشكيلي المغربي الهيطوط أن التجريدية سمحت له بتغيير نظرتة إلى الأشياء، بمعنى التفكير ببساطة وحرية وبكثير من العفوية. وهو في ذلك يقول "لست تجريدياً بالمعنى الكامل للكلمة، ولا يوجد رسام كذلك، فمن الضروري أن يشفع كل رسام لوحاته التي ينوي إنجازها بتخطيط ما، على اعتبار أن التشخيصية تركّز على المظهر، أما التجريدية فلا تقف عند القشرة بل تغوص إلى العمق، وأنا رام تجريدي بهذا المعنى على الأقل، ففي القاع يكمن الجمال".

ويضيف "ما أقوم به يأتي سلساً ودون تكلف، أنا لا أقيم حقاً إلا في الصباغة، لا أعرف إلى أين تحملني في البداية، لكن سرعان ما تظهر الطريق إلى الأشياء وتتبدّد المخاوف، فتحت الخطوات يرتسم مشفى الأشياء التي تظهر وتختفي".

ولأن تجريدية الهيطوط مخصصة له، ولا تشبه في نهجها أحداً سواه، قال عنه الشاعر والفنان التشكيلي المغربي عزيز أزغاي "يمثّل عبدالله الهيطوط

يتواصل حتى نهاية شهر فبراير الجاري المعرض الفني الافتراضي للتشكيلي المغربي عبدالله الهيطوط، والذي أتى بدعوة وتنظيم من الجمعية العمانية للفنون التشكيلية ضمن جهودها الرامية إلى مدّ جسور التواصل بين الفنانين العمانيين ونظرائهم المغاربة لتبادل الخبرات والتجارب في ما بينهم.

مسقط - ضمن عروضها الفنية الافتراضية تقيم الجمعية العمانية للفنون التشكيلية على موقعها الرسمي حتى نهاية شهر فبراير الجاري معرضاً افتراضياً للفنان التشكيلي المغربي عبدالله الهيطوط شمل عشرين عملاً تجريبياً تغوص عميقاً في التخطيط اللعبي، حيث يستند الهيطوط في عمله الإبداعية على التخطيط المضمّر الذي يُهندس التكوين الشامل من داخل الفعل ذاته.

خربشات طفولية

تراوح أعمال الهيطوط في مجملها الفضاء نهاباً وإياباً بين ثنائية "الإظهار والإضمار"، وعنها يقول "هي الثنائية المفهوم الذي أحاول أن أتلّمسه عبر طريقة غير معبّدة ومفعمة بالأسطوري والغامض".

من هناك يحيي الفنان المغربي ذكرياته الصيبانية في لوحاته التجريدية عبر تسطيح اللون وتبقيع الفضاء وتقطير الصباغة وتزيين الحيز بأشكال هندسية عبر طرق طفولية لا تكثرث لأي مدرسة في الرسم.

وعن ذلك يقول "الطفولة ما زالت هي من تقودني طوال الوقت، ما وراء سجلها البصري المتوقع، يستهويني ما ظل معلقاً منها في رأسي، وما تبتكر لي من مثالب لا أستطيع إخفاءها إلا داخل اللوحة، تماماً كما تشدني الأشياء الملصقة على الجدار، وتأسرني الصباغة التي هي إطفاء لحطام الكلام".

ويوجّه الناقد الفني المغربي عز الدين بوركعة منجز الهيطوط التجريدي، فيقول عنه "هو ذاك المنفلت من المسطرة الأكاديمية، إلى برائن الحرية وحصون التجريب، ليتم كل هذا معارض دولية وجماعية وفردية لا تنضب، ونصاعة اللون لديه عبر صباغيات ولوحات وأعمال توغل في المتعة، حيث يصير المنجز راقياً، بأدخ الحداث".

ويضيف "كل هذا يتشكّل وفق حرية تبلور تجربة تشكيلية يضيئها هو في عمق أعماله، مستعملاً تقنيات وأدوات وأساليب مدرسية ولا مدرسية، منطوية وحادثة من قطع وكولاج ولصق، وحذف

المعرض الافتراضي نمطاً تجريبياً فريداً اقتضاه الفنان التشكيلي المغربي عبدالله الهيطوط شمل عشرين عملاً تجريبياً تغوص عميقاً في التخطيط اللعبي، حيث يستند الهيطوط في عمله الإبداعية على التخطيط المضمّر الذي يُهندس التكوين الشامل من داخل الفعل ذاته.

وجاء في بيان الجمعية العمانية "تمثّل أعمال الهيطوط المحفّتي بها في المعرض الافتراضي نمطاً تجريبياً فريداً يقتض لحظة الانفعال في أوجها، ليدع من خلالها فضاءات رحبة بامتدادات ماورائية تشعّر المتلقي بحالات التفكير والتحوّل إلى المجمال والموحد، حيث تتزاح لمحاولات ما بعد الحداث للرجوع إلى الأصل والجذور اللانتمية إلا لعودة الإنسان وقضايا وجوده".

ويضيف البيان "من هنا يجول الهيطوط في محيط التشكيل ليبحث المتلقي عند لحظة توتر لا منتبهة، تتجدد مع الزمن حسب تحول أفاق العمل الفني الزمكاني، فيعود الماضي إلى الحاضر، ويتراجع المستقبل ليحط في الحاضر، فيصبح الماضي والمستقبل حاضرين، وهنا يتحوّل الحاضر بحيث يصبح ممواها، وهكذا تظل ساعة الزمن وبوصلة المكان في خطوط متداخلة ومعقدة رغم بساطتها الظاهرة كاشكال مفككة وهي في طريقها للتوحد".

ويطرح الهيطوط في أعماله التجريدية الأسئلة والألغاز دون أن يجيب بشكل موضوعي أو منطقي ويكتفي بالشعور العقلي، أي أن يتصوّر ذهنياً ما تملّيه عليه المخيلة المتأثرة بالعواطف دون قيود، ليصل بخياله إلى أقصى درجات التجلي والاختزال في منظومات أكاديمية رصينة ليوظف غريزة الإنسان البدائي الفطرية، الذي يؤمن بالطبيعة كأساس مرتبط